

طائر أبو منجل في سوق الجمعة

التراث التاريخي والخريطة الوراثية

دكتور قاسم زكي

أستاذ الوراثة بكلية الزراعة، جامعة المنيا؛ مصر

كثيراً ما شاهدت مومياء طائر "أبو منجل" المقدس (Ibis) عندنا في جبانة (مقبرة) تونة الجبل الأثرية (50 كم جنوب مدينة المنيا في صعيد مصر)، وكذلك كثير من تماثيله وموميائاته بالمتاحف وصوره المنقوشة على جدران المعابد والمقابر والمسلات، لكن الشوق دوماً يجذبني لمعرفة أين ذهب هذا الطائر واختفى من أجواء مصر المحروسة؟ ولماذا لم يبق كأصدقاء الفلاح (الهدهد وأبو فصاده وأبو قردان)؟

وأخيراً وأنا أتابع بضائع سوق الجمعة بالسيدة عائشة بالقاهرة (يمثل سوق شعبي للتنوع الحيوي)، فوجئت بمشاهدة أحد الباعة يعرض طائر أبو منجل للبيع!! أين كنت وسماء مصر تسأل عنك وأبنائها يتوقون لرؤيتك حياً، وليس نقشا على جدران أو مومياء في كفن؟

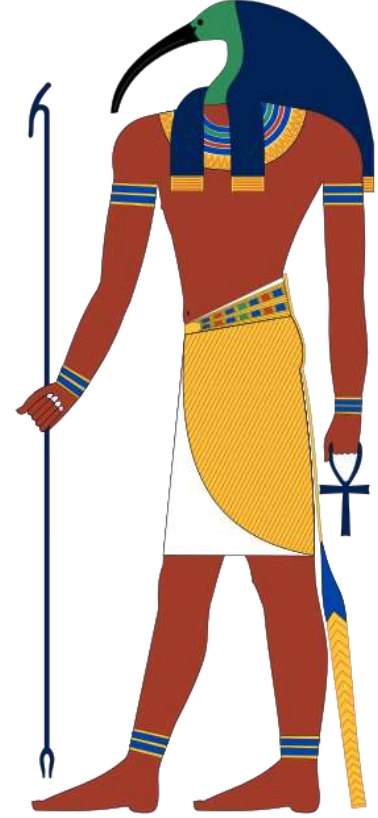
كان اكتشاف جبانة تونة الجبل الموجودة في مركز ملوي بمحافظة المنيا، والتي تعود إلى القرن السابع قبل الميلاد، أكبر دليل على قدسية أبو منجل لدى القدماء المصريين، فقد عُثِرَ داخلها على سراديب ممتدة بها نحو أربعة ملايين من موميאות الطائر المقدس (كما تم اكتشاف 1.75 مليون طائر محنط في مقبرة سقارة القديمة قرب الجيزة). وُجِدت تلك الطيور محنطة ومكفنة بلفائف الكتان، بنفس الطريق التي كفن بها قدماء المصريين ملوكهم، ووضعت داخل توابيت من الحجر أو الفخار. وظل أبو منجل يشغل عقول الأثريين والباحثين عن أهميته في الحضارة الفرعونية القديمة. فقد كان يُمثل الإله تحوت (إله الحكمة والكتابة والسحر والأدب والعلم كما أنه يشترك في حساب الموتى) وكانت له مكانة خاصة عند المصريين القدماء.

تحوت أو توت إله الحكمة عند الفراعنة، أحد أرباب ثامون الأشمونين الكوني، يعتبر من أهم الآلهة المصرية القديمة، ويُصور برأس أبي منجل، ونظيره الأنثوي الإلهة ماعت (إلهة العدل والحق). ولقد كان ضريحه الأساسي في مقاطعة الأشمونين (جبانته تونة الجبل) حيث كان المعبود الأساسي هناك.

اعتبر قدماء المصريين أن الإله تحوت هو الذي علمهم الكتابة والحساب، وهو يصور دائما ماسكا بالقلم ولوح يكتب عليه. له دور أساسي في محكمة الموتى حيث يؤتى بالميت بعد البعث لإجراء عملية وزن قلبه أمام ريشة الحق ماعت. ويقوم تحوت بتسجيل نتيجة الميزان. إذا كان قلب الميت أثقل من ريشة الحق - فيكون من المخطئين العاصين - يُلقى بقلبه إلى وحش مفترس تخيلي فيلتهمه وتكون هذه هي النهاية الأبدية للميت. أما إذا كان القلب أخف من ريشة الحق (ماعت)؛ فمعنى ذلك أن الميت كان صالحا في الدنيا فيدخل الجنة يعيش فيها مع زوجته وأحبابه، بعد أن يستقبله أوزيريس.

ويقول الكاتب وعالم المصريات الأمريكي "جون أنتوني ويست" (John

West؛ 1932-2018م) في كتابه «ثعبان السماء» (Serpent in the Sky) عن أسباب الربط بين أبو منجل وبين الكتابة، ربما لأن «سلوك الطائر والطريقة التي يحرك بها منقاره المقوس في المياه الضحلة بحثاً عن الطعام وأسلوب التقاطه للحشرات من الأشجار يشبه طريقة الكتابة، كما أن طريقة تحريكه لرأسه ومنقاره تشبه طريقة تحريك اليد وهي ممسكة بالقلم.



لكن طائر أبو منجل المصري القديم (*Threskiornis aethiopicus*)، الذي ملأت موميאותه وتصدرت صوره مقابر القدماء واتخذته جامعة القاهرة شعارا لها، اختفى تماماً من سماء مصر قبل مائتي عام، باستثناء أعداد قليلة لا تتجاوز 15 طائراً، كانت حديقة حيوان الجيزة تحتفظ بها؛ ونحمد الله بدأت النجاحات تُسجَل في المحافظة عليه، فمع منتصف العام 2009م، عاد يصدق من جديد (لكن) في حديقة حيوان الجيزة قرابة 27 طائراً.

وطائر أبو منجل المصري هذا أحد الطيور المائية من جنس أبو ملعقة ويتبع عائلة أبو منجليات وأهمها نوعان: أبو منجل الأسود، وأبو منجل المقدس (الأبيض) ذو الريش الأبيض للجسم ورأس وذيل ومنقار أسود اللون، وهي طيور خواضة ذات منقار طويل ورفيع ومنحني للأسفل (يشبه أداة حصاد المحاصيل الزراعية "المنجل") وساقين طويلتين،

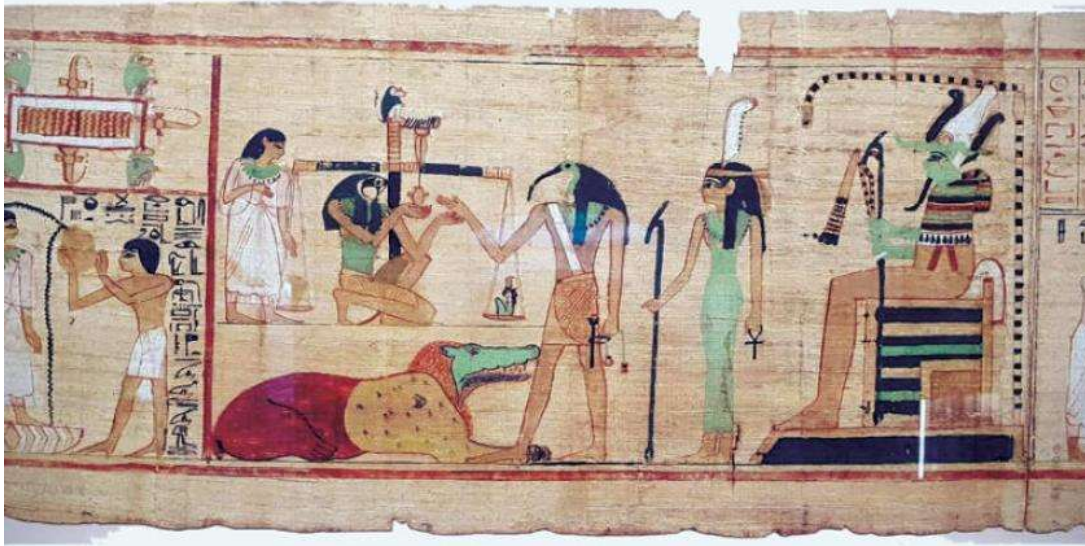
ويبلغ طوله قرابة 75 سم بينما وزنه قرابة 1.5 كجم، وتصل المسافة بين جناحية المفرودين حوالي 135 سم. يعيش في الأقاليم الدفيئة في نصفي الكرة الأرضية الشمالي والجنوبي. وأبو منجل المقدس كان يعيش على ضفاف النيل وشواطئ البحيرات والترع والمستنقعات وربما أطراف الصحاري المصرية. ويعرف أحياناً باسم "الطائر الناسك" بسبب حبه للانعزال في المناطق البعيدة، حيث يتكاثر في جروف صخرية أو منحدرات جبلية يصعب الوصول إليها.

يبلغ طائر "أبو منجل" جنسياً عندما يصل عمره 12 شهراً، وتضع الأنثى من 2 إلى 5 بيضات في موسم الربيع أو الخريف، يتبادل الأبوان في احتضان البيض لمدة تتراوح بين 21 إلى 29 يوماً، وبعد الفقس، يبقى أحد الوالدين بشكل مستمر في العش لأول 7 أيام، وبعد 48 يوماً يستقل الصغار عن أبويهما. وأبو منجل من النوع الذي يعيش لفترات طويلة من العمر، حتى أنه قد يعيش ليصل إلى ثلاثين سنة. ويتغذى على الأسماك المختلفة، والضفادع، والثدييات الصغيرة والزواحف والطيور الصغيرة، وكذلك الحشرات.

علم الوراثة وأبو منجل:

نجح فريق بحثي من جامعة "جريفث" (Griffith University) قادته الباحثة المصرية الأصل الدكتورة سالي واصف، في إعداد أول خريطة وراثية لطائر أبو منجل الفرعوني، ونشرت نتائجها في 13 نوفمبر 2019م في دورية «بلوس وان» (PLOS ONE). جمع الفريق البحثي 40 عينة حمض نووي من ستة موميאות أبو منجل يرجع تاريخها إلى نحو 2500 سنة، وللمقارنة جمعوا 26 عينة حديثة ممثلة لجميع طيور أبو منجل بأفريقيا. وكانت المفاجأة التي وجدوها أن مدى التنوع الوراثي لأبي منجل المحنط، كان مشابهاً لمدى التنوع الوراثي في الطيور الحالية. وهذا يدل على أن المصري القديم كان يصيد تلك الطيور من موائلها الطبيعية، أو ربما يتم تربيتها لفترة محدودة فقط من السنة في موسم التضحية بها في الطقوس التعبدية. لأنه لو كانت الطيور قد تم تدجينها وتربيتها لفترات طويلة، فستكون النتيجة المتوقعة هي انخفاض مدى التنوع الوراثي بينها.





مشهد من كتاب الموتى (المتحف المصري) يُظهر تحوت برأس أبو منجل وهو يسجل نتيجة الحكم النهائي

المراجع:

1. Wasef S, Subramanian S, O'Rourke R, Huynen L, El-Marghani S, Curtis C, *et al.* : Mitogenomic diversity in Sacred Ibis Mummies sheds light on early Egyptian practices. PLoS ONE 2019; 14(11): e0223964. <https://doi.org/10.1371/journal.pone.0223964>
2. Kessler D, Nur el-Din A. Der Tierfriedhof von Tuna el-Gebel. Antike Welt. 1994; 3:252–265.

3. نور الدين، عبد الحليم: الديانة المصرية القديمة P الجزء الاول المعبودات. الطبعة الثانية، 2010، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة. عدد الصفحات 456 صفحة.
4. Wade AD, Ikram S, Conlogue G, Beckett R, Nelson AJ, Colten R. Backroom Treasures: CT Scanning of Two Ibis Mummies from the Peabody Museum Collection. 2011.
5. Ray JD. Observations on the Archive of Hor. Journal of Egyptian Archaeology. 1978; 64:113–120.
6. Ikram S. Divine Creatures: Animal Mummies in Ancient Egypt. Cairo: American University in Cairo Press; 2005.
7. West, John Anthony: [Serpent In The Sky - The High Wisdom Of Ancient Egypt, Borrow, and Streaming : Internet Archive](#). 1992. 305 pp.
8. Hancock JA, Kushlan JA, Kahl MP. Storks, Ibises and Spoonbills of the World. London: Academic Press; 1992.
9. Clergeau, Philippe (14 July 2009). ["Threskiornis aethiopicus \(sacred ibis\)"](#). Wallingford, UK: *Invasive Species Compendium - CAB International*. Retrieved 9 April 2018.

دكتور قاسم زكي

أستاذ الوراثة بكلية الزراعة، جامعة المنيا؛ مصر

تواصل مع الكاتب: k.z.ahmed@mu.edu.eg | k.z.ahmed@minia.edu.eg